

روح المعاني

تنفس فتنفس فقال تبارك وتعالى : هذا أدنى نعمتي عليك واشتهر أن اول النعم المقصودة لذتها الوجود وأنه معدن كل كمال كما أن العدم معدن كل نقص ويدل على أنه نعمة لا يكاد يقاس بها غيرها عند كثير من الناس ان الانسان منهم يفدي نفسه بملك الدنيا لو كان بيده وعلم أن الفداء ممكن إذا ألم به الالم وتحقق العدم .

ومن العجيب ان أبا علي الشبلي البغدادي وقيل : ابن سينا لم يعد وجود الانسان نعمة عليه فقد قال من أبيات : ودهر ينثر الاعمار نثرا كما للغصن بالورق انتثار ودنيا كلما وضعت جنينا غذاه من نوائبها طوار إلى أن قال : نعاقب في الظهور وما ولدنا ويذبح في حشا الام الحوار وننتظر البلايا والرزايا وبعد فلولوعيد لنا انتظار ونخرج كارهين كما دخلنا خروج الضب أخرجه الوجار فماذا الامتنان على وجود لغير الموجدین به الخيار فكانت أنعما لو أن كونا خیر قبله أو نستشار فهذا الداء ليس له دواء وهذا الكسر ليس له انجبار إلى آخر ما قال ولعمري لقد غمط نعمة الله تعالى عليه وظلمها إن الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها بالكلية أو بوضعه في غير موضعه أو يظلم نفسه بتعريضها للحرمان بترك الشكر كفر .

. 43

- شديد الكفران والجحود وقيل : ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع والاول أنسب بما قبله وأل في الانسان للجنس ومصادق الحكم بالظلم وأخيه بعض من وجدا من افراده فيه ويدخل في ذلك الذين بدلوا نعمة الله تعالى كفرا والظاهر أن الجملة استئناف بياني وقع جوابا لسؤال مقدر كأنه قيل : لم لم يراعوا حقها أو لم حرما بعضهم وقيل : إنها تعليل لعدم تناهي النعم ولذا أتى بصيغتي المبالغة فيها وهو كما ترى هذا وفي النحل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لا يغفور رحيم وفرق أبو حيان بين الختمين بأنه هنا لما تقدم قوله تعالى : ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وبعده وجعلوا الله اندادا فكان ذلك نصا على ما فعلوا من القبائح من الظلم والكفران ناسب أن يختم بدم من وقع ذلك منه فختمت الآية بقوله سبحانه : إن الانسان لظلوم كفار وأما في النحل فلما ذكر عدة تفضلات وأطنب فيها وقال جل شأنه : أفمن يخلق كمن لا يخلق أي من أوجد هذه النعم السابق ذكرها ليس كمن لا يقدر على الخلق ذكر من تفضلاته تعالى اتصافه بالغفران والرحمة تحريضا على الرجوع اليه سبحانه وأن هاتين الصفتين هو جل وعلا متصف بهما كما هو متصف بالخلق ففي ذلك اطماع لمن آمن به تعالى وانتقل من عبادة المخلوق الى عبادة الخالق تبارك وتعالى انه يغفر

ز السابق ويرحمه وأيضاً فإنه لما ذكر أنه تعالى هو المتفضل بالنعم على الإنسان ذكر ما حصل من المنعم ومن جنس المنعم عليه فحصل من المنعم ما يناسب حالة عطائه وهو الغفران والرحمة إذ لولاهما لما أنعم عليه وحصل من جنس المنعم عليه ما يناسب حالة الانعام عليه ويقع معها في الجملة وهو الظلم والكفران فكأنه قيل : إن صدر من الإنسان ظلم فإن تعالى غفور أو كفران فإن تعالى رحيم لعلمه بعجز الإنسان وقصوره وما نقل السخاوي عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم من أن هذه الآية منسوخة